

الحوار بالعامية.. حقائق ومفاهيم



د. فاطمة محمد الأزهرى (*)

لا نعتقد بأن اللغة تسير في حياتنا على نحو من المصادفة المطلقة، ولا تنتقل على ألسنة الناس خبط عشواء، بل يحكمها في هذا وذاك قوانين تكاد ترقى إلى مكانة القوانين الطبيعية.

ولا يعني الجهل بهذه القوانين أنها ليست موجودة، وإنما الأهم من ذلك هو البحث عن هذه القوانين، فاللغة أداة الحوار الذي لابد من توفر عنصرين أساسيين هما المتلقي والملقي، وقبل أن نتحدث عن الحوار وما يعترضه من شروط وخصائص، نقف أولاً على هذه اللغة باعتبارها أداة له قد يحسن استخدامها وقد يحدث العكس إن كان المتلقي لهذا الحوار على جهل وعدم دراية بقوانين هذه اللغة.

فما الذي نعنيه باللغة الفصحى؟ وما الذي نعنيه باللهجة العامية؟ وكيف تكونت كلا منهما؟ وما المقاييس التي تخضع لها الفصحى والعامية، وهل استخدمت العامية الاستخدام الصحيح؟ أم أن هناك من يحاول الإيقاع بها واستغلالها في محاربة الفصحى، بل هناك من يحاول محاربة الفصحى

(*) قسم اللغة العربية - كلية اللغات - جامعة الفاتح - الجماهيرية الليبية

باستخدام بديل يبتعد فيه المتحاور عن أصل اللغة إلى لغات أخرى وأغراض أخرى تخدمها؟

حقيقة أود الإشارة أولاً إلى وجود اضطراب في المفاهيم لدى الكثير عن مفهوم العامية، فوجدت من يفصلها عن الفصحى ويعتبرها غريبة عنها، وهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك باعتبارها عدوة لها... فلو أدركنا حقيقة العلاقة الوثيقة بينهما التي هي علاقة الأب من الابن لشققنا على اللهجة العامية، هذه اللهجة الوليدة للغتنا العربية إلا أنها وللأسف تخبطت على كل الأسن، فتلونت بألوان لا وصف لها، إلى أن وصلت إلى هذا الحد الذي نراه اليوم، ولمعالجة هذا الوضع لابد من وضع ضوابط تحكم العامية، فالفصحى ليست بحاجة إلى ضوابط وقواعد، تحتاج العامية إلى غرلة لبعض الأنفاظ الدخيلة عليها وإصلاح بعض التراكمات فقط، أما ما يعترها من حذف وقلب وتغييرات في النطق، فذلك طبيعي من أصل اللغة، واختلاف اللهجات بين القبائل.

ولقد لفتت انتباهي بعض الدراسات العلمية التي قام بها بعض الباحثين منها ما دعت إليه الباحثة الاستاذة إيمان والدكتور الفاضل علي درويش في كتاب بعنوان: بين العامية والفصحى"، فكانت لي بعض التعقيبات على دراستهما القيمة، جاء في الكتاب النص التالي:

"كتاب منهجي يقدم المسألة في قالب جديد يتناول قضايا الساعة المتعلقة باللغة والهوية والانتماء. وما يميز هذا الكتاب عن غيره من الكتب والدراسات والمواقف التي سبقته، والتي نعرض لها في بعض فصوله، طرحه لمشروع التحول إلى الفصحى، بأسلوب حديث واقعي يتماشى مع تلك

المعطيات الجديدة، في زمن ينصرف أهل اللغة عن لغتهم إلى لغات أجنبية، لاسيما الإنجليزية، تلك اللغة التي أصبحت لغة الإنسان المتخصص والعادي على حد سواء^(١).

فالتحول إلى الفصحى حلم جميل، كلنا يسعى الى تحقيقه إلا أنه ينبغي علينا أن نكون واقعيين في معالجتنا للمعضلات اللغوية، ولو تكاثفت الجهود من أجل محاولة شيوع الفصحى لن يجدي ذلك في أرض الواقع، وذلك لا يعني أننا ندعو للعامية التي ليست بغريبة عنا، بل الواقع يفرض نفسه والدليل على ذلك بقاء المعضلة اللغوية بل وتفاقمها... نحن نجد أن الشباب اليوم يتحدثون بكل سهولة ولا يعيقهم أي حاجز بحكم توفر وسائل الاتصال بين جميع الأقطار، فالعامية تنتشر بين الأقطار وإن كانت مختلفة.

فالشاب الليبي يتحدث مع الشاب المصري ويعبر كلا منهما بلهجته المحلية والتي ما هي إلا وليدة لغة مشتركة بينهما، والاختلاف فقط في بعض الألفاظ التي تعد نتيجة طبيعية لاختلاف الأماكن، فلو أردنا فعلاً أن نضع أيدينا على الجرح... نعالج الخلل الواقع في العامية لأنه وبجميع الأحوال لا يمكن الاستغناء عنها كما لا يمكن أن يستغني الأب عن ابنه... لو انحرف الابن عن قيم والده بحكم عوامل خارجية فهل يتركه والده ويستغني عنه بل يعتبره عدواً له.. في رأيي يحاول إصلاح ما فسد من قيم عند الولد لأنه فرع عنه والفرع وليد الأصل.... هذا هو الجرح.. والله إن العامية تأن وتشكي حالها للمتخصصين اللغويين بأن يسارعوا لانقاذ ما تبقى منها كي لا يكتب لها الانقراض... إنها تشكو صراعات بين المتخصصين الداعين بالغائها وهي وليدة الفصحى.... وتدعوا لإصلاحها والرقى بها لأعلى المستويات هذا الرقي

ليس بالأمر السهل بلا شك... إلا أن نتيجته تستحق ذلك العناء، حتى نصل الى عامية صحيحة بعيدة عن عامية هذه الأيام!!! لابد من تكاثف الجهود لوضع الضوابط التي تحفظ لنا العامية العربية... والمسح الشامل للألفاظ المستخدمة من قبل المتكلمين ووضعها تحت المجهر اللغوي وإيقاء ما يصلح وإلغاء ما يشكل خطرا على لهجاتنا العربية... نقف على بيت القصيد... إذا الدعوة لإلغاء العامية هي إعلان الحرب على اللهجات العربية...

اللهجات التي خلفت لنا تراثاً علمياً نفتخر به بين الأمم.. ظواهر لغوية .. إدغام ... قلب ... حذف ... إذا المسألة أعمق من كونها عامية أو فصحية.. أعمق من أنها أداة حوار فقط فهي تراث حضاري موروث بين القبائل العربية... وبدوري متخصصة في المجال اللغوي وحرصاً مني على لغتنا العربية التي أرى أنها في خطر.. سأتناول دراسة الألفاظ المستخدمة في ليبيا وذلك في دراسة أخرى، بعد جمع ألفاظ عامية وفصحى ثم وضع مقاييس للعامية للرقى بها إلى مستوى الفصحى.. وأدعو كل متخصص في بلده أن يقوم بدراسة ذلك على العامية المستخدمة حتى نصل جميعاً إلى الهدف الاسمي حفظ لغتنا العربية من الأخطار المحدقة بها يمينا وشمالا... أما في هذا البحث فستكون النظرة شمولية على الحوار القائم بين المتحدثين بالعربية.

وما قصدناه بلغة الحوار لا يختص بجانب معين أو مجال معين من مجالات الحياة المختلفة، بل يركز على اللغة في حد ذاتها وما لاقته من سوء استعمال لدى البعض مما أدى إلى شيوع ظاهرة اللحن بها، ولقد قامت دراسات عديدة في هذا الموضوع من أبرزها "لحن العامة" للدكتور: رمضان

عبد النّواب-رحمه الله- حيث حدّد المعنى اللغوي لكلمة لحن وعبر عن أهداف الدراسات السابقة في موضوع اللحن بقوله:

"بالتّبع لم يكن من أهداف أولئك الذين ألفوا في لحن العامّة أن يسجلوا لنا شيئاً من مظاهر تطوّر اللغة، بل كان مهمهم الأكبر هو إعادة هؤلاء الخارجين على الفصحى إلى حظيرة اللغة العربيّة... وكان كل هم هؤلاء المؤلّفين في لحن العامّة أن يجمعوا طائفة من الألفاظ التي يخطئ فيها الناس في زمانهم، ويبرهنوا على خطئها، بالرجوع إلى المادّة التي جمعها اللغويون الأوائل من أفواه العرب.. وليس المقصود من العامّة هنا الدهماء وخسارة الناس... وإنما المقصود بهم عند هؤلاء هم المتقفون الذين تتسرب لغة التّخاطب والحياة اليوميّة إلى نغمتهم الفصحى في كتاباتهم أو أحاديثهم في المجالات العلميّة والمواقف الجديّة، كموقف الخطابة والوعظ مثلاً^(٢).

يحدّد هذا النصّ المعنى اللغوي للعاميّة وكيف أنّها لا تقتصر على العوام من الناس بل تشمل كافّة الأصناف من فئات المجتمع، ولقد وقف العديد من الدارسين على هذه الظاهرة وشيوعها في سائر مجالات الحياة من أعلام وصحافة وغيرهما، وقبل الوقوف على هذه الدراسات وما أثارتها من جوانب تتعلّق بالآثار السلبية من جراء الاستخدام الخاطئ للغة.

أود الإشارة إلى أن الاستمرارية في شيوع هذا اللحن في اللغة والحوار بين الجميع...

يؤكد خطورة هذه الظاهرة على اللغة الفصحى، - اللغة الأم - بل أن الخطر أصبح شاملاً للغة واللهجة العاميّة، وذلك لجهل المتحاورين بأصول وقواعد اللغة من جهة وأصول اللهجات من جهة أخرى، ولا يشترط

أن يكون الجميع ملماً بهذه القواعد والأصول بل الأهم من ذلك هو إدراكهم للغتهم ولهجاتهم المتعددة من استخدام خاطئ للغة وبالتالي للهجة باعتبارها وليدة لها ومن دخول كلمات غريبة على واقع اللهجات المشتقة من اللغة الفصحى بحيث لو أدركوها لسلمت لغتهم ولهجاتهم من هذا اللحن، وإذا نظرنا إلى الإعلام نظرة شاملة وجدنا أنه يتغلغل في كيان الحضارة وهو كذلك عامل مساعد في التقارب الثقافي، وبهذه الأداة وهي اللغة تعتبر الوسيلة الأولى للوصول إلى هدف التواصل والترابط بين الشعوب وبقدر ما تكون اللغة الواحدة مفهومة من قبل المستقبلين يتحقق الرابط بين الإعلام والمجتمع على نحو يخدم عمليات التنمية في جوانبها المتعددة وخاصة التنمية اللغوية.

فالتطور الإعلامي له أثر إيجابي على اللغة إذ ساهم في توصيل اللغة الصحيحة إلى المتلقي، ولكنه في الوقت نفسه كانت له مضاعفات جانبية، ففي الوقت الذي كان فيه الإعلام الجماهيري عاملاً من عوامل التواصل بين الشعوب، فإن التوسع فيه أدى إلى استعمال اللهجات العامية بشكل مفرط، فكان من شأن ذلك أن أدى إلى التجزئة بين الشعوب بدل من توحيدها في اللغة الفصحى المشتركة فاللغة العربية اليوم تعاني من تلوث ألحق أضراراً جسيمة بالبنية اللغوية، واختلاط في المفاهيم وكل ذلك يؤدي إلى فوضى لغوية غير محدودة العواقب مما يشكل خطراً حقيقياً للغة العربية الفصحى باعتبارها الأداة الأولى والصحيحة للحوار المثالي ولقد عبر أحد الباحثين عن أثر الإعلام في اللغة بقوله:

”لقد أثر التطور الإعلامي على اللغة العربية إيجاباً؛ فأوصل اللغة الصحيحة إلى الأميين، ولكنه في نفسه كانت له مضاعفات جانبية . ففي

الوقت نفسه الذي كان فيه الإعلام الجماهيري عاملاً من عوامل التواصل بين الشعوب، فإن التوسع فيه أدى إلى استعمال اللهجات العامية بشكل مفرط، فكان من شأن ذلك أن كرس التجزئة بين الشعوب بدل توحيدها في اللغة المشتركة الفصحى^(٣).

إن اللغة العربية تعاني اليوم نوعاً من التلوث الذي يلحق أضراراً جسيمة البيئة اللغوية وسيتبعه إفساد للفكر، وشيوع ضرب من الاضطراب والإرباك في العقول، واختلاط في المعاني والمفاهيم، وكل ذلك يؤدي إلى فوضى لغوية غير محمودة العواقب.

وتعتبر الصحافة حدثاً تاريخياً ثقافياً ولغوياً هاماً، لما فيها من قوة تأثير وانتشار واسع، وعلي الرغم من أثرها المحمود على اللغة العربية، فإن بعض الاتجاهات التي تدعي الحداثة اتجهت في بعض المناطق العربية كالشام وتونس والمغرب منذ منتصف القرن العشرين المنصرم نحو القطيعة مع الثوابت التراثية اللغوية، فأدخلت عيوباً في لغة الصحافة، ودعت إلى الإباحية اللغوية وإزاء هذا الواقع تراجع اهتمام رجال الصحافة بقواعد اللغة وازدهرت الأخطاء اللغوية وبات الأسلوب الصحفي أسير قواعد محددة وضعها مختصو الإعلام . فأخذت اللغة الصحفية منحى خطيراً، أصبح الأسلوب متصنعاً. واقتضى ظهور الإذاعة الميل نحو تبسيط اللغة وشيوع العامية فيها^(٣)، وجاء البث (التلفزيون) ليؤكد هذه المشكلة ويشجعها لما شاع من استخدام خاطئ للغة من جهة وشيوع للعامية به من جهة أخرى، وذلك في البرامج المتنوعة والتي قد يقوم عليها أساتذة وحملات مؤهلات علمية متعددة. وقد وقف الغيورون على اللغة بالمرصاد لهذه الاتجاهات:، كاهتمام

المجامع اللغوية بها ومحاولتها بتقديم العلاج. وإذا كانت الصحافة المكتوبة تحتفظ ببعض الصفات البلاغية من قبل بعض الأقلام، فإن اللغة الإذاعية المسموعة والمرئية تذهب إلى أبعد الحدود في التحلل منها، فقد رفعت شعار الموضوعية والسرعة والاقتصاد في نفقات الإرسال وعادت اللغة مجرد رموز تحمل معني، ووضعت في المرتبة الثانية من اهتمامات الإعلاميين، ففقدت اللغة رونقها، وانتشرت العاميات، وإن المتأمل لا ينكر الأثر الواسع والعميق للإعلام في اللغة العربية والارتفاع بمستوى اللغة والتخلص من التباعد بين العامية والفصحى^(٤).

غير أن بعض وسائل الإعلام تقوم بدور عكسي، فتسهم في الفوضى اللغوية بحجة السرعة وضغط الوقت وشد الجمهور، متذرة بذوق الجمهور ومستواه.

واللغة الإعلامية كما نشاهدها اليوم تتبئ بخطر تحولها إلى عامل تجزئة جراء طغيان العامية عليها، فالإعلام الرسمي في أغلب الدول يعلن الاعتزاز باللغة العربية ثم يستعمل اللهجات المحلية بعد ذلك غير عابئ بما يفرضه العصر من الناحية الثقافية، واللغة الإعلامية العربية لا يمكن أن تكون إيجابية متفقة مع ميول الأمة في كل أقطارها وأعمارها ومستوياتها التعليمية والثقافية، إلا إذا كانت الفصحى المشتركة، هذا يفرض علي وسائل الإعلام التي تبرز حضارة اللغة العربية أن تكون لغتها هي الفصحى التي تتفق مع العصر، وإذا نظرنا إلى المادة المعروضة في التلفزيون ومنها المسرحية . وجدنا بعض الناس يتذرعون باسم الواقعية وحاجة الفنان إلى تمثيل الحدث وبأن الكاتب الروائي والمسرحي أحوج ما يكون إلى كلمات

العامية في الوصف والتصوير، وأن الكلمات الشعبية هي التي تملك الدلالة التأثيرية في حين تعجز العامية عن المعاني العالمية والأفكار والخواطر والمشاعر الدقيقة علي العكس مما يراه البعض من أن لغة المسرحيات والأفلام والحوار المرتجل في التلفزيون والراديو يجب أن يكون باللهجة العامية العربية من أجل أن تجذب اهتمام المشاهدين والسامعين وتصل إلي قلب وروح كل منهم ، وأنه لا يمكن رواية النكات والجناس باللغة العربية الفصحى لأنها ستبدو علي الأقل غير طبيعية، فالغناء والجدال والسب يمكن أن يكون فقط باللهجة العامية لأنها لغة المعيشة والتعامل. وإذا أمعنا النظر في لغة الحوار الإعلامية المعاصرة نري أنها إما: - لغة فصيحة وهي قليلة. أو لغة عامية. أو مزوجة بين العامية والفصحى وهي الأكثر.

وقد تجاذبت المواقف حول هذه اللغة، فأنكر أنصار الفصحى أنصار العامية نكرانهم للغة الموحدة، وأتهم أنصار العامية اللغة الفصحى بعدم ملاءمتها لمتطلبات الحوار في وسائل الإعلام، وأن الجمهور عاجز عن فهمها، والتفاعل معها، وانتهى الأمر إلي القول بأن حل مشكلة التعارض بين العامية والفصحى هو الجمع بينهما.

وهذا التفسير أساء كثيرا إلي اللغة العربية، لأنه رسخ مقولة صعوبتها وعجزها في الحوار المسرحي، فإذا كان الأدب رسالة بالدرجة الأولى فإن لغة الحوار معينة في المواجهة باستثمار ثراء اللغة العربية، وسيخطئ الإعلام كثيرا إذا اعتقد أنه طور التوحد فلو قاموا بذلك لكانت النتيجة أعظم مما يتصور، ليتصور المتصور كيف ستكون حال الناس مع الفصحى معرفيا وثقافيا ووعيا وتعاملا معها لو التزمت جميع القنوات العربية

بالفصحى، لن يشعر أحد بأن تعقيد حيالها ولساعد ذلك علي انتشار هذه اللغة المعطاء^(٥).

إن العلاقات بين اللغة والإعلام اليوم لا تسير في خطوط متوازية، فالطرفان لا يتبادلان التأثير نظرا لعدم التكافؤ بينهما، فالإعلام هو الطرف القوي، وعلية فتأثيره في اللغة بالغ الدرجة، ويضعف مميزاتها فقلما فرضت اللغة نفسها علي الإعلام، وإنما الإعلام هو الذي يهيمن علي اللغة فتخدم أهدافه.

ومن قصور وسائل الإعلام في اللغة العربية اعتمادها علي الترجمة الركيكة للأفلام الأجنبية وببلجتها، وهذا مطلب يكفي أن تطالب به الدول فتمتثل له الشركات الموزعة لهذه الأفلام.

وما يجمع الوسائل الإعلامية علي اختلاف برامجها هو الوصول إلي أكبر عدد ممكن من القراء والمستمعين والمشاهدين والتأثير فيهم. وقد دخل الإعلام في هذه الوسائل وحطي بنصيب كبير بشكل خاص لتتحول اللغة الإعلامية إلي لغة اقتصادية.

الإعلان حاجة حياتية مهمة لكونه أداة من أدوات التواصل اللغوي لتحقيق أغراض مختلفة. وإدراكا لأهمية الإعلان في الحياة المعاصرة صار الإعلان فنا بارزا، ومجالا للدراسة، وعلما للتخصص فيه، وتتافس أجهزة الإعلام في عرضه، وتقوم مؤسسات متخصصة في صناعته وتقديمه في كل مواقع الحياة^(٦). ومن المؤسف أن لغة الإعلان اليوم هي ضحية الجهل باللغة.

والسبب في هذه الأخطاء حدده الدكتور - داود عبده- بقوله:

" هو عدم إتقان قواعد الصرف ومن أسباب الأخطاء اللغوية ما يأتي:-

١- تأثير العامية:-

لم يقتصر تأثير اللهجات العامية علي الأصوات التي تشير إليها سابقا، وإنما تجاوزها إلي جوانب أخرى تتصل ببعض التراكيب ولفظ بعض المفردات، فمما ورد كثيرا فيما سجلته عبارات مثل (هيك) ومن الجمل التي ورد فيها هذا التركيب:(هكذا مؤتمر لا ينتظر منه أكثر من هكذا نتائج).

ومنها: استعمال (بالمرة) بدلا من (نهائيا) أو (إطلاقا)، كما في:(هذه التقارير غير مشجعة بالمرة).

١- تعميم القاعدة ومنها:(في مزارع شبعا) بالنصب فقد عرف بعضهم أن الممنوع من الصرف يجر بالفتحة فعل على الجر بالفتحة لكل صيغة من الصيغ التي ارتبطت في ذهنه بالممنوع من الصرف.

٢- ربط الحركة الإعرابية بالمعني: يعرف بعض المتحدثين أن المفعول به منصوب، ولهذا نصبوا نائب الفاعل، فهو مفعول به لم يذكر فاعله، ومن أمثلة ذلك : نقل عنه قوله، وأصيب جنديين واعتقل العشرات (بالفتحة إمعانا في تأكيد النصب!).

٣- عدم وجود الحركات: بعض الأخطاء التي ليس لها تفسير سوى أنها نتجت في بادئ الأمر بسبب خلو النص من الحركات، ثم أخذت تشيع لكثرة ما سمعت^(٧).

والملاحظة الغربية التي لم تستوقف أحداً حتى الآن إن هذه الإذاعات والصحف ومحطات التلفزيون المتناقضة في توجهاتها السياسية والاجتماعية تستعمل جميعها "لغة" واحدة. فالأخطاء اللغوية والنحوية التي ترتكب خلف الميكروفون لا تعد ولا تحصى. ويرافق هذا "الإهمال" تزايد اعتماد اللغة المحكية في معظم أوقات البث. حتى أن إحدى الإذاعات بدأت منذ فترة بإذاعة نشرة أخبار باللغة العامية^(٨).

كما أن اللغة العامية دخلت صفحات بعض المجلات، ويشير أحد الباحثين إلى هذه القضية وذلك بوقوفه على التجربة اللبنانية يقول: "كلنا نذكر السجال الذي دار في الستينات وبعدها بين أنصار الدعوة إلى اعتماد اللغة العامية أو "اللغة اللبنانية" التي كان يدعو إليها فريق سياسي معين في لبنان، وبين أنصار الحفاظ على اللغة الفصحى وتعزيزها. طبعاً، الحرب اللبنانية طوت ملف هذه القضية "الثقافية" الطابع. لكن القضية لم تتم في الإدراج. فاللغة العامية أو "اللبنانية" تكرست على الصعيد الإعلامي وباشتراك جميع الفئات في حمى السباق الإعلامي. وبات الكلام العربي الفصيح من وراء الميكروفون أو أعلي الشاشة ثقيلاً على الإسماع "متخلفاً" عن موجة الحداثة الإعلامية. إن دعاة "اللغة اللبنانية" صمتوا فعلاً عن مطالبة بها، لكن لسبب واحد هو إحساسهم بأنهم ربحوا المعركة تحت غطاء آخر هو الغطاء الإعلامي.

فإذا كانت سمة التجربتين الناجحتين على الصعيد الإعلامي في الوطن العربي في لبنان ومصر، اعتماد اللغات أو اللهجات المحلية فهل يعني ذلك أن نجاح التجارب الإعلامية في الأقطار العربية الأخرى سيمر أيضاً

عبر اعتماد اللهجات المحلية أيضاً. وفي هذه الحالة، إلا تتحول الصحافة بدورها إلي مظهر التجزئة العربية بدل أن تلعب دوراً توحيدياً علي الصعيد الثقافي واللغوي؟.

إفقار اللغة بحجة الوضوح والبساطة يضاف إليه اعتماد متزايد علي اللهجات المحلية، وتري أي قرار أو موقف يمكن أن يمكن من زحف هذا المنحى الخطير الذي تسير به اللغة العربية عبر وسائل الإعلام؟^(٩).

بالنسبة إلي النقطة الأولى أي إفقار اللغة فإن العلاج يبدو شبه مستحيل . ولا يمكن رفع مستوى هذه اللغة إلا برفع مستوى " الإنسان الوسط " الذي تتوجه إليه هذه الصحافة وهذا أمر لا يتحقق بين يوم وآخر . - وقد يكون الحل اقتراحا باستصدار قوانين خاصة تهدف إلي حماية اللغة العربية بمنح استخدام اللهجات العامية عبر وسائل الإعلام، والحد من موجة إدخال المفردات الأجنبية إلي هذه اللغة.

وإذا لم يحدث أي تدبير من هذا النوع فأن الأمور ستسير علي هواها، فيحاول كل طرف فرض لغته علي الآخرين . كما حدث عبر التجربة السينمائية المصرية المعتمدة علي قوتها واحتكارها لسوق الإنتاج السينمائي العربي حولت اللهجة المصرية إلي لهجة عربية يفهمها معظم العرب، والتي أصبحت أشبه ما تكون بـ "اللغة الفنية الرسمية " عربياً وهذا الأمر قد لا يكون هو الحل المنشود لان الأقطار العربية تخوض معركة حامية علي الصعيد الإعلامي فيما بينها، ومما يخفف إلي حد بعيد إمكانية السيطرة أو الاحتكار الإعلامي لأي قطر مهما بلغت قوته.

الحل شبه مستحيل، وسيبقى هكذا إذا لم تبادر الدول العربية إلى دراسة خطة إعلامية عربية شاملة، وبهذه الخطة نقصد إنشاء مؤسسات إنتاج عربية إعلامية مركزية مشتركة تعتمد لغة موحدة، علي صعيد وكالات الأنباء والصحافة والبرامج الإذاعية والتلفزيونية والسينمائية، وإنشاء محطات إذاعية وتلفزيونية مركزية تتوجه إلى الإنسان " العربي " العادي. فنتواجد اللغة بتوحد الجمهور. أنه حل، ولكنه، في الأوضاع العربية الراهنة شبه حل مستحيلاً فعلاً^(١٠).

كما يشير الدكتور إبراهيم النعمة إلى تمسك الشعوب الأخرى بلغتها الأم مع صعوبتها قائلاً:

"فهذه اللغة اليابانية يلاقي دارسوها صعوبات ومعضلات جمة ولكن اليابانيين لم يفكروا في يوم من الأيام أن يتركوا لغتهم ويستبدلوا بها لغة أخرى * ولو كانت اللغات الأخرى ما هو أسهل بكثير من لغتهم * وما لنا نستشهد باليابان وأمامنا الصين * أجل الصين حيث بلغت أشكال الحروف الصينية ١٠٠,٠٠٠ مائة ألف شكل إضافة إلى أن الكلمة الواحدة بالمشكل نفسه تلفظ بأصوات عدة كثيرة^(١١). وفي كل صوت تعطي الكلمة معني غير ما تعطي الصوت الآخر كما ذكر لي من يتقن الكتابة والكلام باللغة الصينية * وعلي كل حال فهي أصعب لغات العالم باتفاق الجميع ومع ذلك لم يفكروا باستبدال لغتهم بأية لغة.

لأنهم أدركوا أن التفريط بلغتهم تفريط بمقوماتهم وحضارتهم من كل ما تقدم يتبين لنا أن موضوع العامية والفصحى ليس مجالها المفاضلة وأيتها تصلح *

وإذا كانت دعوات الدخلاء في تشجيع العامية قد انجلت وأسفرت عن وجهها وفهمها كل الناس * غير أن الله تكفل بحفظ اللغة الفصحى وذلك بحفظ كتابه حيث قال جل اسمه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (١٢). "وأن جميع السهام التي انفلتت ووجهت نحو لغة القرآن عادت خاسئة مدحورة تجر أذيال الخيبة والخسران بعد أن تبينها الناس وأدركوا خطورتها وعرفوا الدوافع الحقيقية من ورائها ويضيف الأستاذ إبراهيم التجربة الألمانية قائلاً:

"أن اللهجات العامية في ألمانيا كثيرة ولكن صار من المحرم علي الألمانين أن يدخلوا العامية في المدارس الابتدائية وفي الجامعة والبريد والمحكمة وجميع إدارات الحكومة ومنها الإذاعة والصحافة والنوادي الأدبية و....و... لا نهم أدركوا النتائج الوخيمة التي تنتج من الكناية والتحدث بالعامية وتشجيعها * ومن التخطيط الناجح الذي بعه المرحوم عبد الحميد بن باديس بالجزائر هو تعميم الفصحى وتقليص العامية لنا جميعاً ومطالبة المجامع الدولية الاعتراف باللغة العربية فإذا انتشرت الدعوات للعامية فأي بهجة ستكون واسعة بين العرب وبين الجانب من هذه اللغات العامية" (١٣).

ومن النجاح الذي حققه أعداء الفصحى كذلك وجود المسرح الهزلي الذي اتخذ الحوار فيه بالعامية فقط وحتى صارت التمثيليات تكتب وتمثل باللغة العامية وزاد الأمر تشجيعاً لهذه العامية وجود الخالية (السينما) التي كان الحديث فيها بالعامية فقط ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أخذ بعض الكتاب يكتبون القصص باللغة العامية كما فعل بعض الكتاب.

من خلال هذا العرض لبعض الدراسات القائمة على هذه الظاهرة نستطيع القول بأن الاستمرارية في استخدام العامية باعتبارها أداة الحوار

الأكثر استخداما في هذا العصر بين كافة المتحاورين، - مع ما وضعت تلك الدراسات من حلول مقترضة - يؤكد أن الخطر لا يزال عالقا بهذه اللغة الفصحى.

وفي رأيي المتواضع أرى أن يتم الاستشعار بهذا الخطر المحتم على اللغة وذلك في المؤسسات التعليمية، بوضع مناهج خاصة بهذا الشأن يدرك فيه المتعلم القيم اللغوية للغة الفصحى واللهجة العامية والرابط المشترك بينهما، والاهم من ذلك الاستخدام الصحيح لكل منهما لان الخطر لم يقتصر على اللغة فحسب بل اللهجة العامية تعاني هي الأخرى من أخطاء لغوية ومصطلحات غريبة قد يعرف بعضها الآخر يظل مجهول الهوية ولا يعلم مصدره وواضعه بل والسبب من استخدام تلك المصطلحات.

والله وني التوفيق.....

هوامش البحث:

- ١- "بين العامية والفصحى: مسألة الازدواجية في اللغة العربية في زمن العولمة والإعلام الفضائي" عن شركة رايتسكوب الأسترالية للمنشورات التقنية. ويقع الكتاب في ٢٩٨ صفحة من القطع الكبير وهو مقسم إلى ثمانية أبواب.
- ٢- لحن العامة والتطور اللغوي: د-رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق ط-٢-٢٠٠١.
- ٣- الاعلام واللغة العربية المشتركة: د-عبد العزيز شرف- مجلة الفيصل ع-١٧-١٩٧٨ ص-٣٠-٣٢.
- ٤- اللغة الصحفية ملاحظات تقنية ومنهجية: مجلة الفكر العربي- أنور خطار، ع-٥٠-ص. ٩١.
- ٥- ٥- الكلمة والمصداقية عربياً... بين ثوابت الثقافة ومتغيرات الإعلام د- صالح أبو أصبع، مجلة الكاتب العربي ع-٣٤ س-١١، ربيع ١٩٩٣.
- ٦- أنظر-الاتصال بال جماهير بين الأعلام والدعاية والتنمية: د-أحمد بدر- وكالة المطبوعات عبدالله الحرمي- الكويت.
- ٧- الأخطاء اللغوية في الأعلام العربي د- داود عبده، الموسم الثقافي الواحد والعشرين لمجمع اللغة العربية الأردنية، الثلاثاء-١٨ ربيع الأول-٢٠٠٣ أيار ٢٠٠٣ ص-٦٣ وما بعدها.

- ٨- اللغة الصحفية- ملاحظات تقنية ومنهجية-د-أنور خطار-مجلة الفكر العربي- العدد الخمسون-١٩٨٨-ص:٩٢.
- ٩- اللغة الصحفية- ملاحظات تقنية ومنهجية-د-أنور خطار-مجلة الفكر العربي- العدد الخمسون-١٩٨٨-ص:٩٢.
- ١٠- فن الكتابة الصحيحة، غازي براكس-الطبعة الاولى ١٩٨٥ المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت.
- ١١- بين الإسلام والعامية والفصحى - الأخ إبراهيم النعمة، ص ١٠٠.
- ١٢- بين الإسلام والعامية والفصحى -الأخ إبراهيم النعمة، ص ١٢٠.
- ١٣- اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات، د- محمد طلال- مجمع اللغة العربية الاردنية، ص-٣٣-٣٤.